

الإسلاميون والديمقراطية.. التوليفة المستحيلة

الإرهاب يطل برأسه مجدداً



عمر علي البديوي
كاتب سعودي

الإخوان، وجهوده في تخليص المؤسسات من تأثير وتغلغل الحركيين. ومثلها حملات تشويه أمين رابطة العالم الإسلامي محمد العيسني، لأنه اخترق الأوساط الأوروبية والغربية بصورة أنموذجية، داخل الحقل الجغرافي والإستراتيجي الذي استثمر فيه الإخوان كثيراً، مما استفزهم وأثار غضبهم.

تقرب السعودية هذه الأيام من استحقاقات عالمية تعزز من مسيرة تحولها التاريخي، قمة العشرين التي تستضيفها بوصفها قبلة عالمية وعاصمة مركزية في المنطقة، تأتي في إطار ما أضحت تتمتع به السعودية اليوم من قيم تفكير وعمل وإستراتيجية نبذت كل مفردات العالم القديم الذي كانت تحتبس فيه.

اقتراب المناسبة، شكل فرصة ثمينة ليستمع السعوديون، أولاً، والعالم من بعدهم لحزب هذه القلعة النوعية في طبيعة البلاد، ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وهو يتأمل في هذه الفعالية الأثرية بالنسبة إليه ولجيل كامل من الشباب المتطلع إلى التغيير والتمسك بالطائفة والقنابل العمياء المحشوة بالتخلف التي تريد تبايد حالة الفوضى والخراب والتراجع في هذه المنطقة. قال الأمير محمد بن سلمان إن المملكة استطاعت القضاء، خلال سنة واحدة، على مشروع التطرف الأيديولوجي، الذي صنّع على مدى 40 عاماً، بعدما وعد بذلك في 2017، وتحقق شوط كبير عبر حملة جادة لمعالجة الأسباب والتصدي للظواهر.

استطاعت السعودية في سياق تحولاتها الكبرى إنهاء التطرف وخطاب الكراهية بفضل استعادة مؤسسات الدولة، وحمايتها من اختراق الخطابات الدخيلة والمبثوثة في الأجزاء الضعيفة من الفكر المجتمعي الذي استسلم لسردية حركية مفخخة.

وتبقى المعركة مع أيديولوجيا التشدد وجماعاته طويلة، وعملية إزاحتها شاقة، لأنها تفتح بؤر تفرخ في مناطق الأطراف، كلما اشتدت عليها الإقتضاة في المركز، وما إن تفتتح ثغرة في استقرار منطقة أو ناحية ما، حتى يتدفق إليها جيل كامل من المتشددين يعيدون المنطقة إلى دوامة عنف لا نهائي. ولذا فإن مواجهة فكر مخضب بالتشدد والدموية، عملية مستمرة، ومواجهة مفتوحة لصد عدوان الإحباط وانسداد الأفق وفقر الخيارات، يفتح آفاق الأمل وتوفر حقوق المجتمعات والاستمرار في تأمين أسباب وشروط العيش الكريم والمستقر والأمن.

ولتثبيت مكاسب المرحلة، وفيما يبدو أنه توسيع لدائرة التغيير، وسد ثغرات الوعي الذي يستهدفه الخطاب المتشدد، وتأهيل العقلية الاجتماعية بأدوات المقاربة الذاتية، قال وزير التعليم السعودي د. حمد آل الشيخ إن الوزارة تعمل حالياً على إعداد مناهج دراسية في التفكير النقدي والفلسفة، بهدف تنمية قيم حرية التفكير والاستماع وعدم التعصب الفكري لدى الطلاب والطالبات، وتمكينهم من ممارسة مهارات التفكير الناقد والفلسفي في المواقف الحياتية المختلفة.

وبعد زيتون عاد القيادي التاريخي الصادق شورو، وهو من قاد المواجهة مع النظام السابق في 1989 بصفته "أميراً" ليظهر أن الخطاب الديني في اليد الفرز داخل حركة النهضة لا يزال هو المفتاح في السيطرة أو التزني، حين هاجم شورو بحدّة تصريحات للغنوشي قال فيها إن الاحتجاجات التي راقت قضية الرسوم المسيئة للرسول محمد مجرد "أحداث عابرة وهامشية"، وذلك في لقاء له مع سفير فرنسا.

واعتبر شورو في بيان له أن تصريحات الغنوشي من "المسقطات" التي تسقطه عن منصبه كرئيس لمجلس النواب، لأنه "تجاوز البند الأول من الدستور الذي ينص على أن تونس دولة دينها الإسلام، كما تسقطه عن منصبه كرئيس لحزب حركة النهضة التي قد نص قانونها الأساسي على أن النهضة هي حزب سياسي ذو مرجعية إسلامية.

ويحمل هذا التصريح، الذي يصدر عن شخصية ذات ثقل اعتباري داخل الحزب ذي المرجعية الإخوانية في تكوينه، تهديداً برفع صفة "الإسلامية" عن الغنوشي، وهي الصفة التي أثلته ليصبح في رئاسة حركة النهضة ورئاسة البرلمان وبناء علاقات خارجية قوية شرقاً وغرباً. ورغم أن الإشارة قد لا تبلغ مرحلة التكفير، لكنها تهدف إلى نزح الشرعية الدينية عن "حكم" الغنوشي، وبالتالي ستصبح ورقة قوية بيد الغاضبين من جماعة عريضة المئة قيادي الذين يطالبون بمنع رئيس الحركة من التمديد ويعارضون أي "قنوية" للتجديد له.

وإذا كانت الديمقراطية الهشة في تونس قد أوصلتهم إلى الحكم، فإنها أيضاً كشفت أنهم ليسوا ملائكة وليسوا متكلمين باسم الله، كما يقدمهم خطاب المظلومية، أو أنهم يحملون حلولاً سحرية لإنقاذ الناس. لقد سحبتهم الديمقراطية إلى ملعب الحقيقة، لتختفي شعارات الإخاء والإيثار ويسيطر الصراع على السلطة.

المواجهة الأمنية منذ جمال عبدالناصر خدمت الإخوان الديمقراطي نجت من أن تحوّلهم إلى مجموعات بلا برامج وسحبت منهم الفكرة السحرية بأن "الإسلام هو الحل" واضطروا إلى التراجع عن ذلك الشعار الهلامي استرضاء لـ"إكراهات الواقع". وهو في الحقيقة مسار براغماتي هدفه الرئيسي الوصول إلى السلطة، فيما تتنوع الوسائل بين الضغط عن طريق رفع ورقة تطبيق الشريعة، أو التنازل إلى الأخر تحت مسوغ أن الحركة "مدنية" و"ديمقراطية"، ولا تهدف إلى تطبيق الإسلام بقدر ما تهدف إلى تجنيد تجربة الانتقال الديمقراطي في البلاد.

منذ أيام استقلال طفي زيتون، الوزير والمستشار السياسي السابق لراشد الغنوشي يقول إن حركة النهضة لا تزال حركة دينية، في إشارة إلى الخطاب الذي يتم ترويجه في مسار معركة خلافة الغنوشي، فخصومه وإنصاره كالأهمل بلجا إلى الخطاب الإخواني القديم ذي المسحة العقائدية المخدرة للأخصار من أجل تبرير بقاء "الزعيم" أو "القيادة التاريخية"، أو شيئا من الخصوم واعتبار الاختلاف خروجاً عن وحدة الصف وتغذية الفتنة، و"الفتنة أشد من القتل".



التمديد للغنوشي أن الحركة لم تنجح في اختبار الديمقراطية داخلها بالرغم من أن مناخ الحرية، الذي كانت تبرز به بقاء الرجل الأول لعقود على رأسها، أصبح موافقاً كي تخرج من هوية الجماعة التي تقدس القيادة إلى فضاء الحزب الذي يجعل الانتخاب أداة وحيدة لتصعيد هذا الشخص أو ذاك، كما يقطع الطريق على "الحكم مدى الحياة" باسم إكراهات الواقع.

لكن النتائج إلى الآن تقول إن الإسلاميين والديمقراطية توليفة مستحيلة لأنهم ينظرون إليها كسلم للصعود فيما هي رؤية تعيدهم إلى الأرض وتسحب منهم أليات تقديس "الزعيم المهتم" وتحوّله إلى بشر يمكن أن ينتخب ويأتي غيره ليواصل المسيرة.

استراتيجياً للحركة في المجال الديني وتجمع عدداً كبيراً من أئمة المساجد والخطباء ومدرسي معاهد جامعة الزيتونة، في سياق ما بات يعرف بالفصل بين الدعوي والسياسي والذي يراد تسويقه على أنه فصل بين الديني والسياسي، فيما هو فصل تكتيكي لرفع الحرج السياسي وتسهيل حرية الاستقطاب الدعوي الحزبي في أهم القطاعات قدرة على الاستقطاب وجذب الأنصار، وتبديد المخاوف من تحلي الحركة عن هويتها "الإسلامية".

وإلى حد الآن، لا يزال الصراع بين الشقين المتخاصمين في النهضة يسيطر عليه الوجه السياسي، لكن مؤشرات كثيرة تقول إنه قد ينتهي إلى خصومات دائمة يستعمل فيها الجانب الديني لتبرير الانسحابات والاستقالات والمزايدة على الخصوم بالمبدئية، التي تعني العودة إلى الجبهة الأولى جبهة الإخوان المسلمين وخطاب درء الفتنة و"العودة إلى الله" وتطبيق شرعه". وتقول تصريحات من محيط حركة النهضة أنها أصدرت تعميماً هدّدت فيه منع كل من "ينشر الغسيل في الإعلام" من المشاركة في المؤتمر القادم للحركة، وهو المؤتمر الذي يفترض أن يخرج بنتائج تقوي أحد الفريقين المتخاصمين على الآخر.

وفيما تقول المؤشرات إن الغنوشي سيجرح المنتصر من هذا المؤتمر بسبب نفوذ متعدد الوجوه داخل الحركة، بعضه يتعلق بميراث السمع والطاعة داخل "الجماعة الإسلامية"، وهي التسمية الأولى للحركة، وبعضه الآخر يتعلق بورقة الرواتب التي حصل عليها مئات المقترعين من القيادات، فضلاً عن امتلاكه ورقة ضبط ممثلي النهضة ضمن حصتها في التحالف الحكومي، وهي حصّة تسمح لها بوظائف متنوعة داخل الحكومة وفي مختلف مؤسسات الدولة. لقد أظهر الصراع حول قضية



المواجهة منذ جمال

عبدالناصر خدمت الإخوان

لكن الديمقراطية نجت من أن تحوّلهم إلى مجموعات بلا

برامج وسحبت منهم الفكرة

السحرية بأن «الإسلام هو الحل»

واضطروا إلى التراجع استرضاء

لإكراهات الواقع

والصادق شورو عرف بعد الثورة بمواقف متصلبة تدافع عن "تطبيق الشريعة" وعرض خلال إحدى جلسات المجلس التأسيسي تطبيق آية الحراية لمواجهة ظاهرة الاعتصامات التي تكاثرت خلال حكم الترويحية بعضها بمطالب اجتماعية وبعضها ضمن سياق التصعيد السياسي ضد حكم الإسلاميين. ولجا الغنوشي إلى دفع شورو وبعض القيادات الراديكالية الأخرى، التي عجزت عن التلاؤم مع المسار البراغماتي المدني مثل الحبيب اللوز، إلى الواجهة الخلفية للاهتمام بالشؤون الدعوية وإنشاء جمعية "الدعوة والإصلاح" لتكون خزانا احتياطياً

عذر أكبر من ذنب



إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

يقودنا هذا المنطق إلى البحث والتدقيق في تحركات الحكومة الحالية وقراراتها، قياساً بوعودها البراقة منذ ولادتها في مايو الماضي، لنجد أن بصيص الأمل الذي منحتة للمواطن كان خادعاً وسراباً وأن هذه الحكومة أضعف ما من على الوطن من حكومات، وأسوأ حتى من حكومات حزب الدعوة سيئة الصيت.

مثال محزن على حالة التردّي. لقد خرج الناطق باسم رئيس الوزراء ليظمن أسرة الشهيد هاشم الهاشمي والشعب العراقي فرف لهم بشري "التعريف على اثنين من قتلة الخبير الأمني والإستراتيجي الشهيد هشام الهاشمي". لكنه استدرك قائلاً، "إن هناك جهات قامت بتفريب القتل إلى خارج العراق بعد ارتكاب جريمتهم بيوم واحد".

طبعاً لم يجرو، أو لم يشأ أن يسوّى تلك الجهات، ولا أن يعدنا بتطبيق القانون عليها وفق المادة التي تقول إن المشتّر على المجرم شريك معه في الجريمة. خصوصاً وأنه أكد أن حكومة

الكلامي تتعهد "بملاحقة القتل وجلبهم من خارج البلاد". ومن جانبه قال عبدالوهاب الساعدي رئيس جهاز مكافحة الإرهاب، "إن عملية اغتيال الخبير الأمني الشهيد هشام الهاشمي جنائية أكثر مما هي إرهابية، وإن وزارة الداخلية هي من تتولى التحقيقات، وإن جهاز مكافحة الإرهاب لا دور له في التحقيقات".

الفصائل لم تعد مجرد وسائل حوار بين السياسيين المتقاتلين بل أصبحت ميليشيات مسلحة تستخدم في المفاوضات، حيث تلجأ كل شركة إلى استخدام فصيل آخر للفك بشركة منافسة أخرى

رماد يذرونه في العيون، لأنهم ببساطة يعلمون أن داعش لن يكذبهم ويعلم براعته من دم القتل. والإغرب من ذلك أن هذه الفصائل تحولت إلى وسائل حوار بين السياسيين المتقاتلين الحاليين على الفريسة. فحزب يستاجر هذا الفصيل لقتل أفراد من حزب آخر. وزعيم يرسل فصيلاً آخر لاختطاف شقيق زعيم غيره. بل أكثر من ذلك، أصبحت الفصائل المسلحة تستخدم في المفاوضات. فكل شركة تلجأ بشركة منافسة أخرى.

وحيث تسال هذا المواطن العراقي عن دور السلطات الأمنية في هذه المجازر الدائرة في المحافظات والعاصمة، يقول لك: أبداً. فالحافظ ومعاونوه والشرطة والجيش وفصائل أخرى من نوع آخر لا يتحركون إلا حسب المزاج والمصلحة والظروف. فإن كان المتضرر من المحظوظين المنتفذين فستقوم الدنيا ولا تقعد، أما إذا كان من باقي الشعب المقموع فسوف يُسجل الحادث، ببساطة ودون عناء وعلى الفور، ضد مجهول.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk